

شعرية العقل في شعر أحمد شوقي

-مقاربة فكرية جمالية-

The Poetics of Reason in the Poetry of Ahmad Shawqi: An Intellectual and Aesthetic Approach

حياة معاش *

جامعة باتنة 1 hayet.maache@univ-batna.dz

2026/04/08	تاريخ القبول	2026/01/20	تاريخ الإرسال
------------	--------------	------------	---------------

ملخص

نسعى من خلال هذا المقال إلى إبراز خصوصية التجربة الشعرية عند أحمد شوقي، والكشف عن تجليات الحوارية والعبقرية في نصوصه، من خلال ما يميز شعره من توازن بين العاطفة والفكر، وبين الانفعال الوجداني والحكمة الواعية. وقد جعل هذا التوازن من شعره أداةً للتأمل والإقناع والتوجيه الأخلاقي والحضاري، بلغة تجمع بين البلاغة والسرد تارة، وبين التاريخ والإسلام تارةً أخرى، ضمن أسلوب فريد يتسم بالعبقرية الخالقة. أسهم في خلود شعره وترسيخ مكانته في سجل القيم الأدبية عبر العصور.

الكلمات المفتاحية: أحمد شوقي؛ العبقرية؛ الحوارية؛ الشعرية؛ الأخلاق؛ السرد؛ الفكر؛ العقل؛ الجمال.

Abstract

This article examines the distinctive features of Ahmed Shawqi's poetic experience, focusing on how dialogism and creative genius are reflected in his poetry. It explores the balance Shawqi achieves between emotion and reason, passion and wisdom, making his poetry a medium for reflection, persuasion, and moral and cultural guidance. His poetic language skillfully combines eloquence with narrative and blends historical and Islamic themes, creating a unique style that has ensured the enduring value of his poetry and secured his lasting place in Arabic literary tradition.

Keywords: Ahmed Shawqi; dialogism; creative genius; poetics; ethics; narrative; reason; beauty.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن شعر شوقي هو صميم مرحلة الإحياء التي تزعمها محمود سامي البارودي، والتي قامت تستهدف ربط حلقات التاريخ التي كانت قد انفصلت عندما نضب الشعر العربي بعد عصور العباسيين، وذلك بطغيان الصنعة واختفاء الأصالة وراء قضايا تقليدية ميتة.

بدأت حركة البعث الجديدة مع شعراء الإحياء، والتي استطاعت أن تجعل الماضي يرتد إلى الحاضر وأن تبعث إلى الحياة أروع النماذج من تراثنا الأدبي؛ وهذا الارتداد كان قد أنقذ الأسلوب الشعري مما كان قد تردى فيه، فأصبح لدينا مستوى من التعبير الأدبي والشعري يضاهي ما انتهى إليه الشعراء العباسيون من تجارب شعرية راقية؛ نجد فيه رنين الأقدمين وصورهم وطرائق صياغتهم كما وعثا آذان شعراء حركة البعث من أمثال البارودي وحافظ وشوقي (محمد زكي، 1990، صفحة 25)

ولقد تميز شعر أحمد شوقي عن غيره في عقلنة الشعر؛ أي تحويل الفكر إلى طاقة إبداعية جمالية فيها من الروعة والایقاع ما يلامس القلب والوجدان؛ فتنحدر نصوصه التاريخية والمسرحية إلى نظام معرفي لفهم الحاضر والمستقبل، وتنحدر الشخصية إلى منظومة أخلاقية وسياسية؛ والتاريخ عنده ليس مجرد سرد للوقائع؛ وإنما هو فن السؤال عن السلطة والهوية والمصير؛ هذا ما سنحاول البحث فيه من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف تعامل شوقي مع التراث هل كان مكبلاً بقيود التقليد لدرجة تمنح معه شخصيته الفنية على نحو ما زعم العقاد في هجومه عليه حين جرد شعره من كل تفرد وأصالة أم كان محاوراً عقلانياً في تذوقه للشعر؟ وهل قدم لنا تجربة فردية تتسم بالعبقرية الخلاقة التي تحفظ لصاحبها خلود شعره ومكانته الشعرية في درج القيم على مرّ العصور؟ وفيما تكمن الرؤيا الشعرية عنده وكيف تجلت شعرية العقل في نصوصه؟

2. شعرية العقل بين الفكر والجمال الفني:

لقد أعاد شوقي تشكيل العلاقة بين الشعر والفكر؛ لأن الشعر أفق مفتوح، وكل شاعر قادر على الإبداع يستطيع أن يزيد من سعة هذا الأفق ويضيف إليه مسافات

جديدة، أو على حد قول بعض النقاد» إن كل إبداع هو في آن ينبوع وإعادة نظر، إعادة نظر في الماضي وينبوع تقييم جديد» (. محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث، ص18

ومنذ أن كان شوقي إلى أن مات وكل الاتجاهات والمدارس تنطلق من رحابه إما غاضبة منه أو غاضبة عليه ؛ لكنها مرتبطة به بصورة من الصور أو درجة من الدرجات ؛ بل أقول لولا شوقي ما كانت ولا ظهر لها نجم في سماء الشعر. (منير سلطان، 1992، الصفحات 28-29)

وتقوم شعرية العقل عند شوقي في الحقيقة على تحويل الفكرة المجردة إلى صورة نابضة بالحياة ؛ حيث تتجلى العلاقة بين العقل كأداة للفهم والشعرية بوصفها طاقة للابداع ، وإن حكمنا على المحافظين أو التقليديين أو قل حتى المكبلين بالولاء العقائدي للشعر القديم ينبغي أن يفرق بين نوعين من التعامل مع الماضي:

- الذي لا يرى في تراثنا وشخصيتنا إلاّ الأشكال الخارجية والقوالب التي جعلت الشعر تمارين في الوزن أو في الزخرف أو اللهو، أو كل ما يجعل التجارب الشعرية فقيرة الحياة ضيقة الأفق.

- و الذي أحسن فهم الماضي وازداد ارتباطا بينابيعه الحية، وأدرك التراث إدراكاً سليماً يتجاوز الماضي إلى المستقبل، والمعلوم إلى المجهول والواقع إلى الممكن وما وراء الممكن. (محمد زكي ا.، صفحة 17)

وإن الشاعر المبدع من تخطى التقليد واستطاع في حدود الأشكال القديمة أن يفجر الطاقات الجديدة فيحررها فتبقى متوهجة وإعطاء قراءة جديدة لهذا التراث، وهذا ما قام به أحمد شوقي، فقد كان يحاكي التراث بروية وعقلية جديدة؛ بل كان يحاوره ويعايش بين القديم والجديد، بنظرة فيها الكثير من الوعي والقدرة الشعرية والفلسفة والعبقرية الخلاقة؛ لذلك تفوق وتفرّد في تعامله مع التراث، ولعل شوقي يعد من أبرز الشعراء المعاصرين الذين فهموا التراث على هذا النحو، واستطاع أن يستوعب حاضر الأمة وماضها لذلك كان من الشعراء القلائل في عصرنا الحديث الذين نقلوا إلينا أصوات

شعوبهم، فلم يكن صوت شوقي صوتاً واحداً، بل كان صوت شعب وعصر، كان رسالة والعبقري ليس واحداً بل كثيرون كما يقولون.

إن شعر شوقي ليس طبقة واحدة حتى لا يخاله القارئ نسجا واحداً ، وهو يذهب مذاهب غريبة أحيانا وربما أتى في كلامه بالتعقيد وهذا من وجوه الشبه بينه وبين المتنبي. (شكيب وشوقي ، 2020، صفحة 110)

يعد أحمد شوقي في الحقيقة من الشعراء المكتملين الذين نحوا في استثمار حوار الخطابات، ومن القصائد الجميلة له دمشق يقول فيها:

قم ناج جَلِّقْ، وأنشُدْ رِسمَ مَنْ بانوا *** مَشَتْ عَلَى الرِّسمِ أَحداثٌ وَأَزمان
هذا الأديمُ كتابٌ لا كِفاءَ لَهُ **** رَثُ الصَّحائف، باقٍ مِنْهُ عُنْوان
الَّذِينَ وَالْوَحْيُ وَالْأَخلاقُ طائفةٌ **** مِنْهُ، وسائره دُنْيا وَهُـتـان
بنو أُمَيَّةٍ لِلأنبياءِ ما فَتَحُوا **** وَلِلأَحاديثِ ما سادوا وما دانوا
كانوا مُلوكةً، سَريرُ الشَّرِقِ تَحْتَهُمْ **** فَهَلْ سَأَلْتَ سَريرَ الغَربِ : ما كانوا ؟
عالين كالشمسِ في أَطرافِ دولِها **** في كُلِّ نَاحيةٍ مُلْكٌ وَسُلطان
يا وَيحَ قَلْبِي ! مَهما انتابَ أَزْهُمُهُمْ **** سَرى بِهِ الهَمُّ، أو عادَتْهُ أَشْجان
بِالأمسِ قُمتُ عَلَى الزَهرِاءِ أَنْدَبُهُمْ **** وَالْيَوْمَ دَمَعِي عَلَى الفَيْحاءِ هَتَّان
لولا دِمَشقُ لَما كانت طَلِيظِلَةٌ **** وَلَا زَهَتْ بِبَني العَبَّاسِ بَغْدان
مَرَرْتُ بِالمَسْجِدِ المَحْزُونِ أَسأَلُهُ **** هَلْ في المِصَلَّى أو المِخْرابِ مَزوان ؟
تَغَيَّرَ المَسْجِدُ المَحْزُونُ، واخْتَلَفَتْ **** عَلَى المَنابِرِ أَحرارٌ وَعِبدان
أَمَنتُ بِاللَّهِ، واسْتِثْنَيْتُ جَنَّتَهُ **** دِمَشقُ رُوحٌ، وَجَنَّاتٌ، وَرِيحان. الديوان

(aldiwan.net)

تجلى لنا في هذه الأبيات التعايش بين الخطابات، وهو يعد من أرق أشكال الابداع الإنساني الذي يولد حينما يفكر العقل شعريا ويبدع الفن فكريا وهذا الأسلوب تفرد به شوقي وأصبح الجمال عنده طريقا إلى الحقيقة وهذا ما جسده هذه القصيدة : حيث جمع بين الخطاب السردى والتاريخى والدينى:

1.2. الخطاب السردى: وهو انجاز فنى؛ فالشاعر فى هذه القصيدة أصبح راوياً يسرد الشعر بطريقة جميلة تحقق فيها الحوار بين السرد والشعر أى بلاغة سردية وهو إشارة إلى الحداثة التى تحققت فى واقعنا المعاصر.

2.2. الخطاب التاريخى: أى توظيف الرموز التاريخية (جلق، بنى أمية، الزهراء، الفيحاء، طليطلة، العباس،...)، وهو يشترك مع الجواهري والزهاوي والرصافي فى هذه السمة الأسلوبية الفنية ؛ فالتاريخ فى شعره ليس واقعة أو حدثاً أو زمناً وإنما صار ثقافة، رمزاً، إحياء، نوعاً من التأمل فى تاريخ الأمة ، نقرأ فيه ذواتنا وهو إشارة إلى الرواية التاريخية بأسلوب شعري راق قل نظيره.

3.2. الخطاب الدينى: حيث ركز فيه على القيم الروحية للمجتمع العربى، وأن النهضة الحقيقية لا تتحقق فى غياب العنصر الدينى. أى هوية العربى الإسلامية ، هنا إشارة إلى الأخلاق حتى يتحقق التوازن فى هذا الكون وهى رؤية حضارية تجعل الأخلاق أساس بقاء الأمم وزوالها؛ فإذا انهارت الأخلاق انهار الكون؛ وإذا انهار الكون قامت الساعة ؛ فهو القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

فالنص إذن تحقق فيه شعرية العقل أو الحوار بين الخطابات ؛ حيث تغدو الفكرة عملاً فنيا نابضاً بالحياة ويتجسد اللقاء بين الأجناس الأدبية (الشعر، النثر ، السرد، التاريخ، المسرح)؛ بهذا يكون شوقي قد تنبه إلى الحداثة قبل أوانها فى إشارة إلى التداخل بين الأجناس الأدبية. كما تنبه إلى الحوارية حتى قبل باختين أو ما يسمى بالتناص عند جوليا كريستيفا. فهو بهذا حقق السبق الزمنى والفنى على حد سواء.

وقد اشتهر أحمد شوقي أيضا بشعره المسرحي أو المسرح الشعري « فهو أول من ألقى في التربة بذور المسرح الشعري، ولا ضير أنه احتفل بالغنائية... وأصبحت سمة أساسية في شعره المسرحي، وربما كان ثراؤها مصدر ضعف عند تقديم تجربته درامياً، وقد وضّح كيف أنّ هذه السمة (الغنائية) تنبئ من خلال تلك المقطوعات التي تصل إلى مائة وإحدى وعشرين مقطوعة في مسرحه كلّ، وتظهر أيضاً من خلال- () أحمد زلط، حسين علي محمد، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص46. الحوار مهما كان قصيراً وهذا ما يعكس قدرة شوقي على التعبير بالحوار الغنائي...» (أحمد و حسين ، 2001م، صفحة 46)

- فشوقي نجح في شعره المسرحي وفي بناء الشخصيات والحوار والصراع والإيقاع في تنوع بارع حقق له الريادة والتفرد.

إن سيطرة الوعي الفني والفكري والتاريخي في بناء القصائد عنده كان عاملاً أساسياً في ريادته وتفرده نظرياً وعملياً سواء على المستوى اللغوي أو الرمزي الإيحائي وحتى التخيلي؛ فقد تفتتت تجربته الشعرية، ولفئت الأنظار إليه منذ أن كان طالباً في مدرسة الحقوق وهو دون العشرين من عمره، وكان خياله الخصب مترفاً براقاً يفيض بإبداع قوي العارضة عميق السبك مخضب الأخابيل والصور، وقد كانت قامته الشعرية تفوق ؛ كانت مدائح شوقي لساكني القصر الملكي في مصر حديث الأدباء والنقاد الذين يرون في هذا الشاب الكردي المبدع شاعر القصر، في زمن تتكالب فيه الأزمات الداخلية.

روى الكاتب والمفكر اللبناني شكيب أرسلان، في كتابه شوقي صداقة أربعين سنة ؛ تحدث عن أوصاف شوقي الشعرية يقول: إنه وإن كان أسرف في المديح وفي مديح أمير بلاده خاصة، فلم يلوث شعره بالهجاء، ولم أسمع له قصيدة يهجو بها أحداً؛ فقد عصمه الله من ذلك، فإن من أقبح ما قَبَّح سمعة الشعراء وجعل الخلق ينظرون إليهم بشيء من الريبة، أن كثيراً منهم رتّعوا في لحوم الناس وسَيَّروا المثالب التي قد تكون بلا أصل، أو يكون لها أصل ضعيف ولكن الناس حفظوها وتدارسوها لبداعة قوالها خلفاً عن سلف، حتى انتهى الأمر بأن صدقوا فحواها وصارت في نظرهم وقائع تاريخية. (شكيب وشوقي ، 2020، الصفحات 41-42)

كما عقد أرسلان مقارنة، مع ما ذكره: "لو كان شوقي شتاما مقذعا مع ما أُوتي من الإجابة؛ لكان ثلم أعراضا وخلد مقابح وأورث أحقادًا وقيد فضائح، وكان هجا نفسه بهجوه لغيره، وما أصدق هذه الجملة: الإناء ينضح بما فيه؛ فعفة لسان شوقي وتنكبه طريقًا طالما سلكها شعراء كبار وصغار ومتوسطون هذا دليل على زكاء طبعه وفرط حيائه وأيضًا راحة عقله وأصاله رأيه، فكم أحدث الشعر من فتنة وأراق من دم وأخرج من جماعة وحرم العالم من نعمة، وأية نعمة كانت أعظم من شعر المتنبي الذي كانت حياته كلها أقوالًا عبقرية أخذًا بعضها برقاب بعض، ولكنه برغم جميع حكمه الاجتماعية وآرائه الفلسفية لم يتنبه إلى ما في الهجو من الاستهداف للمقت والتعرض للهلكة. (شكيب و شوقي ، 2020، الصفحات 41-42)

بهذا يتبين لنا راحة عقل الشاعر ودليل على القدرة الشعرية الفائقة وما أُوتي من حكمة جعلته متفردا ، أميرا في شعره ، ملكا في لغته وبيانه وهو من الشعراء القلائل الذين نقلوا إلينا أصوات شعوبهم وحضارتهم ؛ فلم يكن صوته واحدا بل كان صوت شعب وعصر ، كان رسالة ومن لديه شك في ذلك فلي تأمل قصائده مثل (الهزيمة النبوية، العلم والتعليم، كبار حوادث وادي النيل، نهج البردة، مجنون ليلى، مصرع كليو باترة، الخ ؛

ففي كل تجاربه الشعرية يتجاوز شوقي التاريخ والواقع إلى عالم فسيح من الحالات الروحية السامية والتعبيرية الجميلة ذات الإيحاء الإيقاعي ، وراء الحدود والقواعد والأنواع والعادات والتقاليد ؛ فهو يسعى إلى طرح رؤية تنقل عبر جسد القصيدة : فالقصيدة نغم وتعبير يجمع بين الإيقاع والمدلول مما يكسب قصائده اللذة والحركة والإيقاع والإيحاء

ومن الشواهد الشعرية التي يتجلى لنا سلطة العقل وشعريته وعنده قوله:

صلاح أملك للأخلاق مرجعه	فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية	والنفس من شرها في مرتع وخم

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى	طغى الجياد إذا عضت على الشكم
عالجوا الحكمة واستشفوا بها	وانشدوا ما ضل منه في السير
واقروا آداب من قبل—كمو	ربما علم حيا من غير
واغنموا ما سخر الله لكم	من جمال في المعاني والصـور
واطلبوا العلم لذات العلم لا	لشهادات ، وآراب آخر
أنا من بدّل بالصحب الكتابا	لم أجـد لى وافيا إلا الكتابا
صاحب إن عبته أولم تعب	ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقته جدّدى	وكسانى من حلى الفضل ثيابا
صحبة لم أشك منها ريبة	ووداد لم يكفى عتابا

(alldiwan.net)

وشعره في معظمه يعج بهذه الرؤيا العقلية للأمور والأحداث والوقائع لتتحول الفكرة إلى إحساس جمالي حتى أن القارئ لا يشعر بثقل الوعظ، فالعقل عنده لا يعرقل الخيال بل يوجهه كما لا يلغي العاطفة بل يهذبها ؛ هناك توازن رهيب بين عمق الفكرة وسمو الصورة .

3. العقل الدرامي في شعره المسرحي:

يقوم موضوع مسرحيات أحمد شوقي في معظمها على مواقف فكري متعارضة كالسلطة والحرية ، الحب والواجب، القوة والأخلاق وهذا من خلال مسرحياته : مصرع كليوباترا ، مجنون ليلى ، علي بك الكبير ، قمبيز وغيرها فالشخصيات فيها لا تمثل أصواتا شعرية بسيطة؛ بل هي مواقف فكرية وعقلية اتجاه العالم ؛ ليصبح العقل فيها منظم جمالي يحدد فيه مواضع الانفعال ويضبط فيه الإيقاع الشعري ليقدم الصراع الدرامي .

لقد كان أحمد شوقي بحق رائد الشعر المسرحي، وأول من عبد الطريق في نوع أدبي مستحدث في القرن العشرين؛ لأنه حُيِّل للعربي أنّ المسرح عمل صعب وراقٍ، إلّا أن

شوقي حطم هذه المقولة؛ فالعمل المسرحي مرتبط بالثقافة والتطور والتجديد والمجتمع العربي في هذه الفترة لم يكن في حالة ملائمة للمسرح؛ لكن شوقي تخطى كل ذلك وانتصب ورافع على أن العقلية العربية يمكن أن تقبل وتمارس هذا الفن من خلال مسرحيته "مجنون ليلى"

و" مصرع كليوباترا"....الخ.

فمن خلال المسرحيتين المذكورتين أنه عقلائي؛ فنحن لو طرح السؤال مثلا لمن انتصر شوقي في مسرحية "مجنون ليلى" لقيس أم ليلى ؟

في الحقيقة لم ينتصر لا لقيس ولا ليلى وإنما انتصر للمجتمع؛ وقف مع الضمير الجمعي؛ مع العرف مع العادات والتقاليد؛ فلم يغضب لا قيس ولا ليلى؛ فليلى اقتنعت في المسرحية بأن زواجها من المجنون قد يدخل المجتمع في دوامة من الصراع، وخضعت ولم تتزوج به والمجنون اقتنع هو الآخر؛ لأنه لو تزوج لوضع المجتمع في فوهة بركان؛ إذن فشوقي وقف مع المجتمع فلا يمكن أن يضحى بعادات وتقاليد المجتمع من أجل علاقات عاطفية؛ لأن العرف لا يسمح بالزواج بامرأة تغزل بها؛ فاختار صوت المجتمع أي "صوت العقل.

وكذلك فعل في مسرحية " مصرع كليوباترا" التي عارض بها مسرحية "أنطونيو وكليوباترا" لوليام شكسبير؛ فالقارئ للمسرحية عند هذا الأخير يجد كليوباترا؛ رمزا للنزوة والعاطفة الوجدانية وتضحيتها بشعبها وملكها من أجل العاطفة والنزوة، وهذا ما لم يقبله شوقي، فكتب مسرحيته " مصرع كليوباترا" كرد على وليام شكسبير؛ فكليوباترا في التاريخ لم تكن رمزا للشهوة والخيانة كما وصفها وليام شكسبير؛ وإنما العكس؛ أي التأثير بالعكس عند شوقي في مفهوم الآداب المقارنة؛ فهي رمز للوطن والتضحية من أجله، والذي انتصر هنا هو العقل؛ صوت العقل؛ صوت كليوباترا؛ صوت الشرق وليس "كليوباترا أنطونيو".

والمتتبع للشخصيات الواردة في هذه المسرحية يجد شوقي يصفها وصفاً موضوعياً، لدرجة أنك تشعر بالخوف على كليوباترا (رمز الشرق) وفي الوقت نفسه يجعلنا نخاف من

انطونيو الذي يودّ أن ينقضّ على كليوباترا؛ فيجعلك هذا الوصف تعايش الحدث وكأنه أمامك بصرًا وبصيرةً.

عموماً فإن المسرح قبل شوقي كان يسير باتجاه الغرب فحوّله شوقي إلى الاتجاه العكسي، والمسرح لم يوقعه شوقي؛ بل كان قبله اليازجي ومارون النقّاش اللبناني كما أن شوقي لم يقع في خطأ التحيز كما فعل الغربيون إنّما كان موضوعياً؛ فكان إلى جانب العقل وعنده دائماً ينتصر الإيثار على الإثارة (الأناية)؛ لذلك كان ردّ شوقي على شكسبير ردّاً فنياً جميلاً يقول في هذا المقطع من مسرحيته الشعرية: (أحمد ش.، 2012، صفحة 73)

كليوباترا:

أبي لا العزل خفت ولا المنايا** ولكن أن يسيروا بي سبيا

أيوطاً بالمناسم تاج مصر** وثمة شعرة في مفرقيا

أنوبيس:

لتأت المقادير أوفلتذر** تعالي كليوباترا ألقى النظر

كليوباترا:

أفاع؟ أبي نحها أخفها** أعوذ بأزيس من كل شر

فماذا تريد باحرازهن** وهل يقتنني عاقل ما

عموماً يتجلى العقل الدرامي في شعره المسرحي على قدرته الفائقة في تحويل الشعر إلى أداة درامية واعية توازن بين عمق التفكير وجمال التعبير؛ حيث جعل من القصيدة الشعرية فعلاً فلسفياً حياً لا مجرد لغة مزركشة.

4. المعارضات الشعرية بوصفها فعلاً عقلياً:

المعارضات الشعرية في جوهرها حوار بين نصين نص سابق ونص لاحق وهذا الحوار يستدعي وعياً نقدياً حياً، ولقد قدم أحمد شوقي أنموذجاً متقدماً للمعارضات فلم

تكن معارضاته تكرارا واجترارا فنيا؛ بل فعلا ابداعيا وعملية تفكير شعري يعيد فيها قراءة النص القديم بوعي ابداعي يتجاوز فيه الموضوع والرؤية واللغة.

لقد كانت المعارضات شأناً شعرياً قديماً؛ أو تقليداً معمولاً به عند الشعراء القدماء؛ فالشاعر ينظم أشعاره ولما تبلغ الآفاق يعارضها شعراء آخرون بالوزن والموضوع والقافية كما يجاري فارس فارسا آخر في المضمار.

فالمعارضات الشعرية ليست اختلافا في الأدب العربي الحديث؛ وإنما هي ظاهرة عرفناها قديماً من خلال القصائد التي كانت محل معارضات من لدن شعراء آخرين، غير أنّ مفهوم المعارضات في الأدب العربي الحديث تغيرت فأصبحت تعني "تجديد الصلة بين القديم والجديد في الصور والأخيلة والإيقاعات العربية" وهي بهذا المعنى تشبه أطروحة التناص أو حوار النصوص في الأدب العربي الحديث، غير أنه يجب التفرقة بين المعارضات الشعرية التي تكتفي بالمحاكاة والتقليد والمعارضات الشعرية التي تنشُد التجديد؛ فمثلاً: معارضات محمود سامي البارودي الشعرية إحياءة تقليدية هدفها نقل الشعر العربي من مرحلة الضعف والرداءة إلى مرحلة القوة والحيوية!

في حين نجد معارضات أحمد شوقي الشعرية عقلية حوارية أكثر منها إحيائية تقليدية؛ لأن شوقي كان يتعامل مع النصوص الشعرية القديمة كنصوص قابلة للتجدد والحوار، لذلك فهو يختلف عن البارودي والجواهري؛ لأنه تمكن من إضافة الجديد أي قراءة القديم قراءة جديدة واعية من خلال التعايش والحوار بين القديم والجديد والتفاعل مع كل ما هو عصري.

والتأمل لشعر شوقي يجده لا يعارض فقط الشعراء القدماء (كأبي تمام والبحري...) بل يعارض حتى الغربيين كما قلنا سابقاً في مسرحية (مصرع كليوباترا) التي عارض بها "انطونيو كليوباترا" لوليام شكسبير، يقول شوقي ضيف: "كان شوقي موكلاً بشعراء العربية الممتازين في موسيقاهم جميعاً؛ فهو يتعقّبهم يريد أن يشبع أذنه من أصواتهم وما استخرجوه من ألحان واعتصروه من أنغام، فيوماً مع البحري ويوماً مع ابن الرومي ويوماً مع مهيار أو الشريف الرضي، ويخيل للإنسان أنه لم يبق لحن أو لم

تبقى قصيدة في العربية إلا وشد رحاله ليستمع إليها ولا يكتفي بذلك غالباً ؛ بل ما يزال يشحذ خياله وقيتارته ليعارض هذا اللحن أو تلك القصيدة من أجل ذلك كثرت المعارضات في شوقياته فتارة يعارض ابن زيدون في نونيته وتارة يعارض البوصيري في برده وتارة يعارض الحصري في داليته. (شوقي ، 2010 ، صفحة 74)

فالشاعر له قدرة فائقة على الحوار والتعايش بين النصوص، فقد كان يمارس التناس قبل أن يكتشف التناس الباخثيني(الحوارية عند باختين) ومن معارضاته الشعرية قصيدة" نهج البردة" التي عارض بها قصيدة" البردة" للبصري يقول فيها:

ريم على القاع بين البان والعلم **** أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا **** يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم
يا لائي في هواه والهوى قدر. **** لوشفك الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد أنلتك أذنا غير واعية **** ورب منصت والقلب في صمم
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ. **** يَمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَفْتَنِمُ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ **** بُغْيَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمٍ
وَنُودِي إِقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا **** لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيَلَتْ لَهُ بِقَمٍ
هُنَاكَ أَذَنٌ لِلرَّحْمَنِ فَاِمْتَلَأَتْ **** أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَةِ النَّعَمِ
سَرَتْ بِشَائِرُ الْهَادِي وَمَوْلِيدِهِ. **** فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسَرُّ النُّورِ فِي الظُّلَمِ
أَتَيْتِ النَّاسَ فَوْضَى لَا تَمْرِبُهُمْ **** إِلَّا عَلَى صَنَمٍ، قَدْ هَامَ فِي صَنَمِ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَائِكَةُ **** وَالرَّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ.
(أحمد ش..، 2012 ، صفحة 190)

القصيدة طويلة، أوردنا منها هذا المقطع الشعري؛ فشوقي عارض بها قصيدة البوصيري وأحدث إضافة جديدة؛ فالعلاقة بين الشاعرين علاقة حوار وليست علاقة اجترار ومحاكاة وتناقض؛ وسنبين شعرية الحوار والعقل من خلال الآتي:

على مستوى العروض جدد أحمد شوقي داخل القاعدة العروضية دون كسرهما؛ فصحيح أن كليهما نظم القصيدة على بحر البسيط، لكن تعامل شوقي مع البسيط بطريقة جديدة حيث أصبح بحراً انسيابياً رقيقاً تحرر من ثقل الوزن الموجود عند البوصيري، حيث أضحى يعتره الكثير من الزخافات خاصة زحاف الخبن؛ فالحذف يسرع من الحركة الإيقاعية، وبذلك نقول أن شوقي حقق إضافة جزئية وإن كانت بسيطة على مستوى العروض، خلافاً للبوصيري الذي كان معترضاً، محافظاً على هويته العروضية القديمة.

أما المستوى البلاغي: نجد في البردة هيمنة الخيال الشعري، بالاعتماد على الاستعارات والتشبيهات، أي قوة الصورة القديمة، أما نهج البردة لشوقي فالأمر مختلف؛ حيث يفكر بعقلية سردية شعرية (بلاغة سردية) وهي سمة جديدة في الشعر الحديث، فهو في برده شاعر راوٍ يستخدم لغة الحكيم وبالتالي نستطيع القول أنه حقق انجازاً فريداً.

وإذا ما أتينا إلى مستوى اللغة؛ نجد لغة البوصيري لغة قديمة فيها رائحة شعر المتنبي وامرئ القيس، لغة جولة فيها إيقاعات الصحراء والطلل، وإيقاعات كعب بن زهير أما شوقي فلغته حدائية هي أقرب إلى لغة الرواية منها إلى لغة الشعر؛ وهي لغة مرتبطة بالعصر ومعجمه؛ أي معجم حديثي.

أما مستوى المضمون فنجد البوصيري ركز في مدائحه النبوية على شخص الرسول

- صلى الله عليه وسلم- فهو النبي المكلف بالرسالة ورسولاً للبشرية مطالب بتبليغ الرسالة رسالة الإسلام، للناس كافة، وتحدث عن مولده- صلى الله عليه وسلم- وعن أخلاقه وصدقه وأمانته.... الخ، بينما ركز شوقي على الرسالة، رسالة الإسلام؛ أي أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- مصلحٌ يحمل رسالة العلم، وعن طريق العلم تتحرر الشعوب من الوثنية والشرك، فيزداد الإيمان بالله؛ فشوقي إذن ركز على الجانب الإصلاحي؛ فالرسول- صلى الله عليه وسلم- جاء ليقيم العدل والمساواة بين البشر، وبالتالي حقق شوقي الإضافة على مستوى المضمون؛ فنحن أمام عقليتين متحاورتين غير

متناقضتين، عقلية إيقاعية راقية مجازية تتجسد عند البوصيري في برده وعقلية شعرية امتزج فيها الشعر بالسرد عند شوقي.

لقد كان أحمد شوقي في شعره مسلماً شديداً الاعتزاز بإسلامه، تجاوز رواد الشعر الإسلامي إلى آفاق أرحب واجل ومن أروع إسلامياته، همزتيه النبوية التي يستهلها بقوله:

وُلِدَ الْهَدَى، فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ	وفم الزمان تَبَسُّمٌ وثناءً
الروح والملا الملائك حولـه	للدين والدنيا به بشرى
والعرش يزهو، والحضيرة تزدهي	والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا	بالترجمان شذية ، غناء
والوحي يقطر سلسلا من سلسل	واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة	في اللوح ، واسم محمد طغراء
اسم الجلالة في بديع حروفه	ألف هنالك ، واسم طه الباء

(أحمد ش..، 2012، صفحة 42)

أو قوله في مطلع قصيدة « صدى الحرب»

بِسَيْفِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَغْلَبُ **** وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ

وما السيف إلا آية الملك في الوري **** ولا الأمر إلا للذي يتغلب (أحمد ش..، الشوقيات، مؤسسة هنداي ، ج 1، ج 2، 2020، صفحة 50)

وقوله في العلم والتعليم:

قُمْ لِلْمَعْلَمِمْ وَقِهِ التَّبْجِيلَا ***** كَاذَ الْمَعْلَمِ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا

المنتبج لشعر شوقي يجده يمتاز بقدرة شعرية فائقة فيها الكثير من الإشارات الضوئية الخاطفة وطاقة الكلام الإيحائية مما يحقق ذاتيته المتفردة ومقدرته الإبداعية

على إثارة الانفعال بما يمتلك من عاطفة مشبوبة ومن هدير الخواطر المتدفقة، ومن اللغة التجسيدية ذات الإيقاع الخاص والتوتر الخاص لغة كلغة الأقدمين، لغة ترج وتجرف، ذات موج عالٍ من الانفعال» تجاوز المادة التاريخية أو الواقعية إلى ما هو أغنى، حين يفلتُ من عالم الواقع المحدود، ويذهب إلى ما وراء ذلك، يذهب إلى ما وراء الحدث أو المادة التراثية إلى عالم فسيح من الأوضاع والحالات الروحية والتعبيرية، فيما وراء الحدّ والنوع وما وراء القاعدة والتقليد. (محمد زكي ا.، 1990، صفحة 20).

عموما تنسم معارضات شوقي الشعرية بثناء بلاغي محملة بدلالات فكرية وأخلاقية وتكشف لنا عن قدرة الشاعر على تحويل التراث إلى مادة حية قابلة للتجدد؛ فمعارضاته ليست اجترارا للماضي ؛ بل إعادة إنتاج له بعقل معاصر.

5. خاتمة:

استطاع شوقي في شعره أن يحقق دنياه الفريدة ويسير بسهولة وحرية على طرق الإبداع، ويعد شعره أنموذجا لإبداع لا يفصل بين الفكر والفن ؛ وقد تبين لنا أنه لم يكن شاعر إحساس فقط ؛ بل شاعر وعي حضاري جعل من العقل قوة خلاقة ومن الجمال طريقا إلى المعنى، واستطاع فهم مواقف الحياة التي تهم الشعوب فهماً دقيقاً واعيا بعقله لما هو مشترك بين بني البشر، وظلت هموم أمته السياسية والاجتماعية مشتبكة إلى آخر لحظة من حياته.

6. قائمة المصادر والمراجع :

أحمد, ز., & حسين , ع. (2001م). الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، تراجم
مصرية وعربية مختارة، ج2 دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 1424هـ،
alldiwan.net, h. (s.d.).

محمد زكي , ا. (s.d). أعلام الأدب العربي الحديث.
أحمد, ش. (2012). مصرع كليوبترا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،
مصر.

أحمد, ش. (2020). الشوقيات، مؤسسة هنداوي ، ج1، ج2.
شوقي, ش. ا. (s.d). شعرية العقل في شعر أحمد أشوقي.
شكيب, أ. & , شوقي , ص. (2020). أربعين سنة {مؤسسة هنداوي.
شوقي , ض. (2010). شوقي شاعر العصر الحديث ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية
للكتاب ، القاهرة.

محمد زكي , ا. (1990). أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية (الشعر-
المسرح- القصة- النقد الأدبي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
منير سلطان. (1992). البديع في شعر شوقي ، المعارف، الإسكندرية ، ط2.